خطبة: من مواعظ عمر بن عبدالعزيز

الخطيب: يحيى سليمان العقيلي

معاشر المؤمنين

الايمان يزداد وينقص ، ويعظم أثره ويخفت ، وهذا هو معتقد اهل السنة والجماعة ،

كما قال عزّوجلّ " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2 الانفال)

والموعظة البليغة والذكرى الحسنة تنفع المؤمنين ، ترقق القلوب وتزكي النفوس وتذكر بالآخرة " يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (57 يونس)

ونقف اليوم مع مواعظ للخليفة عمر بن عبدالعزيز أمير المؤمنين الذي كان حاكما عادلا وعالما مربيا ، وواعظا داعيا ، لم تنسيه الخلافة زهده وورعه وخشيته ولم تشغله عن عبادته ورقة قلبه وتواضعه ،

من مواعظه لجنده ، وفي هذا دلالة على مسؤولية الحاكم في نصح جنده وإرشادهم ووعظهم ،،

كتب إلى بعض الأجناد يقول " واعلم أنه ليس يضر عبداً صار إلى رضوان الله وإلى الجنة ما أصابه في الدنيا من فقر وبلاء،

وأنه لن ينفع عبداً صار إلى سخط الله وإلى النار ما أصاب في الدنيا من نعمة أو رخاء.

وما يجد أهل الجنة من مكروه أصابهم في دنياهم ، وما يجد أهل النار طعم لذة نعموا بها في دنياهم " .

كما كان يعض ولاته وعّماله ، فقد كتب إلى بعض أمراء الأجناد: أما بعد: فإني أوصيك بتقوى الله والتمسك بأمره والمعاهدة على ما حملك الله من دينه، ، واستحفظك من كتابه، فإنه بتقوى الله نجا أولياؤه من سخطه، وبها تحقق لهم ولايته، وبها وافقوا  أنبياءه وبها نضرت وجوهُهم ونظروا إلى خالقهم .

وكتب إلى بعض الأجناد يعظهم ويقول

أما بعد: أوصيكم بتقوى الله ولزوم طاعته.. فمن كان راغباً في الجنة أو هارباً من النار، فالآن في هذه  الأيام الخالية، والتوبة مقبولة والذنب مغفور ، قبل نفاذ الأجل وانقضاء المدة وفراغ الله عز وجل للثقلين ليدينهم بأعمالهم ، في موطنٍ لا تقبل فيه فدية، ولا تنفع فيه الحيلة ، تبرز فيه الخفيات، وتبطل فيه الشفاعات، يرده الناس جميعاً بأعمالهم، ويتفرقون منه أشتاتاً إلى منازلهم، فطوبى يومئذ لمن أطاع الله عز وجل ، وويل يومئذ لمن عصى الله عز وجل ,

وكتب إلى أخ له يعظه ويقول :

يا أخي إنك قد قطعت عظيم السفر وبقي أقله، فاذكر يا أخي المصادر والموارد، فقد أُوحي إلى نبيك صلى الله عليه وسلم في القرآن ، أنك من أهل الورود ولم يخبر أنك من أهل الصدور والخروج، وإياك أن تغرك الدنيا فإن الدنيا دارُ من لا دار له ومالُ من لا مال له ،

وهذا الورود الذي ذكره عمر في موعظته ، هو الورود على الصراط الذي فسّر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الاية حين قال : والذي نفس بيده لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة قالت حفصة: فقلت يا رسول الله أليس الله يقول: ((وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا)) فقال ألم تسمعه قال: ((ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا)) (مريم ، الآية : 72). أشار إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها، فالمؤمنون يمرّون فوق النار على الصراط ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا،

فبين صلى الله عليه وسلم أن الورود هو الورود على الصراط ،وينقسم فيه الناس الى صنفين :

ورود الكفار ٍأهلِ النار، فهذا ورود دخول النار ، كما قال تعالى: ((يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ)) (هود ، الآية : 98).

والورود الثاني: ورود الموحدين وهو مرورهم  على الصراط  ، وهو ما عناه عمر بن عبد العزيز رحمه الله في الأثر الماضي.

وفقنا الله لمايحب ويرضى وأعاننا على البّر والتقوى ، اقول ماتسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

معاشر المؤمنين

اما آخر خطبة خطبها عمر رحمه الله قبل وفاته فمما جاء فيها :

( يا أيها الناس، انكم لم تخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى، وان لكم معاداً ينزل الله فيه للحكم فيكم و الفصل بينكم،،

وقد خاب و خسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء وحُرم الجنة التي عرضها السموات و الأرض ،،

ألا و اعلموا أنما الأمان غداً لمن حذر اللهَ وخافه ، و باع نافذاً بباق و قليلاً بكثير و خوفاً بأمان ،،

ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين وسيرثها بعدكم الباقون؟ كذلك حتى ُترد إلى خير الوارثين ،، وفي كل يوم تشيعون غادياً و رائحاً إلى الله ، قد قضى نحبه ، وانقضى أجله ، فتودعونه في صدع من الأرض غير موَّسدٍ ولا مّمهد ، قد فارق الأحبة و خلع الاسباب ، فسكن التراب وواجه الحساب،،

فهو مرتهنٌ بعمله، فقيرٌ الى ما قدّم ، غنياً عمّا ترك ،، فاتقوا الله عباد الله قبل نزول الموت وانقضاء مواقعه...

وايم الله إني لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحدٍ من الذنوب أكثر مما عندي فأستغفر الله وأتوب إليه،،،

ثم رفع طرف رداءه وبكى حتى شهق و أبكى الناس حوله، ثم نزل و لم يخطب بعدها حتى توفي ،، رحمه الله وتقبّله في الصالحين ونفعنا بمواعظه تلك وسيرته .